مَوْسُوعَةُ
فَوَائِدِ القُرآن الزكِيَّة

سُورَةُ العَصْرِ

أ.د خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

موسوعة فوائد

القرآن الزكية

سورة العصر

أ.د. خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

فوائد سورة العصر

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾

ابتدأت سورة العصر بالقسم من الله تعالى بوقت العصر، وما يتضمنه من صلاة العصر، فقال عَزَّ وجل ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ أقسم جَلَّ جلاله بالعصر الذي هو صلاة العصر، ووقت العصر، والزمن من النهار، ومن الليل، فقد شملت دلالته الأوقات الزمنية جميعها، حيث ورد في دلالة العصر، كما ذكر ابن جرير الطبري والقرطبي وابن الجوزي وغيرهم، رحمهم الله تعالى. إلا أن القرطبي رحمه الله جمع الأقوال مع الشواهد على كل معنى ودلالة. فإن دلالة العصر تشمل حالات الأوقات المتعددة. فقيل: أنه الدهر. وقيل: أنه ساعة من النهار. وقيل: أنه الليل والنهار، وقيل: الغداة والعَشي. وقيل هو آخر ساعة من ساعات النهار. وقيل: أنه العَشِي، الذي هو ما بين زوال الشمس وغروبها. وقيل: صلاة العصر[1] وهذا التنوع في دلالة العصر هو من براعة السياق الذي استوعب تفاريق الزمن الذي هو خلق ومُلك من أملاك الله عَزَّ في علاه، واستوعب كذلك صلاة العصر، التي هي الصلاة الوسطى، فأقسم الله تعالى بتلك الأوقات وبصلاة العصر بلفظ واحد وهو ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ ولم يخصص سبحانه وتعالى معناً ولا دلالة دون أخرى، فشمل القسم جميع تلك الدلالات، فجميعه لله تعالى، ولربنا أن يُقسم بما شاء من خلقه، وليس للإنسان ذلك. فليس له إلا أن يقسم بالله تعالى وحده لا شريك. فإن القسم من الإنسان بغير الله تعالى شرك.

وبعد أن أقسم الله تعالى بما يبين أهمية ما أقسم عليه، وتأكيد عظمته، يأتي بعد ذلك جواب القسم الذي أقسم الله تعالى عليه، وهو ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ إن جنس الإنسان جميعاً لفي خسارة بما يصيبه من الهلاك والعذاب، وخسارة الجنة ونعيمها الدائم الذي لا يزول ولا يحول. وفي هذا التنصيص ما يستدفع ويشوق الإنسان لمعرفة ما بعده من البيان الذي استثنى فيه سبحانه وتعالى الموصوفين بالصفات الأربع، من تحقق هذه الخسارة التي أقسم الله تعالى عليها. فقال جَلَّ جلاله ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٢٢/٢٠)

ﵟٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِﵞ فقد استثنى سبحانه وتعالى مِن هذه الخسارة الذين اتصفوا بهذه الأوصاف الأربعة: فأولها: الإيمان ﵟإِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْﵞ أي: صَدَّقُوا بقلوبهم، فآمنوا بجميع موجبات الإيمان وحقائقه، من غير استثناء. فآمنوا بالله تعالى، وبرسوله صلى الله عليه وسلم، وبالقرآن، وبيوم القيامة، والبعث، والحساب، والجزاء، والجنة والنار، وبجميع كتبه ورسله، وكل ما هو متعلق بالإيمان. وأما والصفة الثانية: هي ﵟوَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِﵞ التي هي عبادة لله تعالى بطاعته. وهي: الأعمال التي أمر الله تعالى بها، لأن جميع ما أمر الله تعالى به هو من الصالحات، لتستوفي صفة الصلاح جميع شرعه، وما فيه من الأوامر والنواهي. وفي هذا تقرير بأن منهج الله تعالى قد انتفى منه وعنه الباطل من كل وجه، وثبت صلاح ما فيه للفرد والمجتمع، في الدنيا وفي الآخرة.

وقد أفاد قوله تعالى ﵟإِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِﵞ العلاقة الترابطية والمتلازمة بين الإيمان وبين العمل بالطاعة لله تعالى وفق ما شرع. فقد جمع الله عَزَّ وجل بينهما بحرف العطف. فالذين آمنوا بتصديقهم بالله تعالى وبرسوله وبما قررته شريعة الله تعالى، وعملوا الصالحات التي هي القيام بما أوجب الله تعالى من العبادات الشاملة لجميع ما أمر الله عَزَّ وجل به من الفرائض وغيرها من السنن والمستحبات. فإنه بذلك يتعاضد الإيمان مع عمل الصالحات، فيشتركان في الطاعة ولامتثال بها. وسمَّى اللهُ سبحانه وتعالى أعمال دينه بالصالحات، لأن جميع الأعمال التي أمر الله تعالى بها قد اتصفت بتحقيق الصلاح والإصلاح في النفس، ومع الله تعالى، ومع الغير. وتستوفي جميع أوامره عَزَّ وجل، وفي هذا تقرير بأن منهج الله تعالى قد انتفى منه وعنه الباطل، وثبت صلاح ما فيه للفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة، فهي جملة غاية في كمال دلالتها، وبلاغة مضمونها، وجزالة ألفاظها، فثلاث كلمات ﵟءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِﵞ حوت منهج الله تعالى بكامله. وهذا البيان يستحث المؤمنين على لزوم الطاعة، والمسارعة إلى كل ما يحبه الله تعالى ويرضاه. وهو فضل عظيم من الله سبحانه وتعالى لأهل طاعته. كما يستحث الكفار على المسابقة إلى الدخول في الإسلام، والامتثال لدين الله تعالى، الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

والصفة الثالثة: ﵟوَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّﵞ وهم الذين يوصي بعضهم بعضاً بما يجب أن يقوموا به من شرائع الدين، وعلى رأس ذلك القرآن العظيم. قال قتادة: والحق: كتاب الله[1] فيوصي بعضهم بعضاً بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. لأن جميع الذي في القرآن هو الحق، وهو الذي كان عليه الصلاة والسلام من العمل بالدين، كما قال الله تعالى عنه صلى الله عليه وسلم في سورة القلم ﵟوَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥٩٨/٢٤)

﴿عَظِيمٍ﴾ أي: على دين عظيم من الأخلاق. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: أي: وإنك لعلى دين عظيم، وهو الإسلام[١] أي: أصبح عليه الصلاة والسلام متمثلاً بالقرآن في كل تعاملاته وتصرفاته. وهو الذي قالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن خُلُقِه عليه الصلاة والسلام، فقالت رضي الله عنها (ألست تقرأ القرآن؟ قال: بلى. قالت: فإن خُلُق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن)[٢] قال ابن تيمة رحمه الله تعالى: أما الْخُلُق العظيم الذي وصف الله تعالى به محمداً صلى الله عليه وسلم فهو الدين الجامع لجميع ما أمر الله تعالى به مطلقاً، هكذا قال مجاهد وغيره، وهو تأويل القرآن كما قالت عائشة رضي الله عنها[٣] فقد كان عليه الصلاة والسلام ممتثلاً لِمَا نزل من القرآن.

والصفة الرابعة: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ وهم الذين يوصي بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله تعالى، وعن المعصية، وعلى أقداره عَزَّ وجل، وتوخي الجزع. وما تتطلب له أعمال الإنسان من الصبر، كالإنفاق في أوجه الخير، والكسب الحلال. وغير ذلك من أوجه الأعمال.

والصبر: نقيض الجزع. وهو: حبس النفس عن الجزع. وأما التصبر فهو: تكلف الصبر[٤] وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى: هو خُلُق فاضل، من أخلاق النفس. يمتنع به من فعل ما لا يَحْسُن، ولا يَجْمُل. وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها[٥] مما يفيد ويُعَلِّم المؤمن أن عليه بالصبر، وتوصية غيره بذلك، وأن يلزم الصبر في مواجهة الصعاب، ومقابلة ما يحدث من غيره له بالروية والصبر، المتضمن للحكمة، والبعد عن الغضب، الذي يبدد العلاقات، ويبدد أو يعطل تحقيق الأهداف. فإن الصبر خُلُق يتعايش به الحكيم مع غيره. ويسأل الله تعالى العون والتوفيق والسداد، فهو خير مُعين على بلوغ الحق والخير. كما يبين هذا أهمية الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم، من خلال سيرته العطرة.

وقد أعطت تلك التوجيهات الربانية الأسس والركائز التي يجب أن يلتزم بها من أراد أن يكون من الذين استثناهم الله تعالى من الخسران المبين، حيث قال عَزَّ وجل عنهم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/٤٢٩)

(٢) مسلم، صحيح مسلم، برقم (٧٤٦)

(٣) ابن تيمية، مجموع الرسائل الكبرى (١/٢٣٤)

(٤) ابن منظور، لسان العرب (٤/٤٣٨-٤٣٩)

(٥) ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين، ص (١٦)

ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ فبالتزام تلك الأسس يبتعد بها الإنسان عن خسارة الآخرة، ويتحقق له بتلك القواعد الأربعة النجاح في دنياه وفي آخرته.

كما أفاد التوجيه الكريم أن هذه القواعد الأربعة العظيمة هي أسس النجاح في مسيرة الدعوة إلى الله تعالى، وجوانب الحياة المختلفة، ومنها ما يتعامل به الإنسان مع غيره، بل هي التي يتحقق بها الأهداف بأفضل المعايير، وبأحسن ما يكون عليه الأداء، لما فيها من تطهير النفس عن النقائص، وتحقيق الطاعة والامتثال، وسلوك مكارم الأخلاق، وتطبيق منهج الكتاب والسنة. الذي يتحقق به الفوز والنجاح.

وأحمد الله تعالى وأشكره على ما أنعم به عليَّ من شرف هذا العمل، فوفقني على إتمام سورة العصر. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتُب علينا إنك أنت التواب الرحيم. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله أجمعين.